قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد صلاة الصبح كما في الرواية الاتية
وكان عليه السلام يتبع ذلك منه احيانا لا دايما كما في الصحيحين مخافة سامتهم
ومللهم ومن ثم كان ابن مسعود يذكر كل خميس فاستزيد فاعتل بذلك
موعظة من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب وتنوينها للتعظيم
اي موعظة جليلة كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت الينا واثرت
في قلوبنا حتى وجلت اي خافت وكانه كان مقام تخويف ووعيد منها
اي من اجلها ويصح ان يكون لابتدا الغاية القلوب من الكلام على القلب
في شرح السادس وذرفت بالمعجمة وفتح الرا اي سالت منها فتها ما من العيون
اي دموعها واخرهذا عما قبله لانه مما ينشا غالبا منه وفيه انه ينبغي
للعالم ان يعظ اصحابه ويذكرهم ويخوفهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم
ولا يقتصر على مجرد معرفة الاحكام والحدود والرسوم وانه ينبغي
المبالغة في الوعظ ليرق القلوب فيكون اسرع الى الاجابة قال تعالى
وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ومن ثم كان عليه السلام اذا خطب وذكر الساعة
اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتفخت اوداجه كانه منذر
جيش يقول صبحكم مساكم وانما طلبت بلاغة الخطبة لانها اقرب الى
قبول القلوب واستحلائها اذ البلاغة هنا المبالغة في التوصل الى افهام
المعاني المقصودة وادخالها قلوب السامعين باحسن صورة من الالفاظ
الدالة عليها وافصحها واحلاها للسمع للاسماع واوقعها في القلوب وكان
عليه السلام لا يطيل خطبته بل يبلغ ويوجز وفي خبر مسلم ان طول صلاة
الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاطيلوا الصلاة واقصروا
الخطبة فان من البيان سحرا قلنا يا رسول الله كانها موعظة مودع
كان وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغته صلى الله عليه وسلم في تخويفهم
وتحذيرهم على ما كانوا يالفونه منهم قبل فظنوا ان ذلك لقرب وفاته
ومفارقته لهم فان المودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول
والفعل وفيه جواز تحكيم القراين والاعتماد عليها في بعض الاحوال
لانهم انما فهموا توديعه اياهم بقرينة ابلاغه في الموعظة اكثر من العادة
كما تقرر واحتمال انه اشار الى توديعهم فيهم ما سالوه منه نظير
ما وقع في حجة الوداع بعيد بدليل قولهم كانها فاوصنا اي وصية
جامعة كافية فانهم لما فهموا انه مودع استوصوا وصية تنفعهم

بتمسك

١٦٧

ويتمسك بها بعده ويكون فيها كفاية لمن يتمسك بها وسعادة له في الدارين
ويوخذ منه انه ينبغي لتلامذة العالم ان ياسوا له في مزيد وعظهم
وتخويفهم ونصحهم ثم رايت بعضهم صرح به فقال فيه استحباب
استدعا الوصية والوعظ من اهلها واغتنام اوقات اهل الدين
والخير قبل فواتهم قال اوصيكم بتقوى الله جمع في ذلك كل
ما يحتاج اليه من امور الاخرة لما مر ان التقوى امتثال الاوامر
واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا يخرج عن ذلك واصلها
وقوي بكسر اوله وقد تفتح من الوقاية ابدلت تاء كتراث وتخمة
وهمها يستر الراس فالمتقي احل بينه وبينها من قوة عزمه على
تركها واستحضار علمه بقبحها والوصية بالتقوى هي وصية
الله للاولين والاخرين قال تع ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ومر الكلام على التقوى مزيد كلام في
وصيته صلى الله عليه وسلم معاذ بها والسمع والطاعة جمع بينهما
تاكيدا للاعتنا بهذا المقام ومن ثم خصه بالذكر عاطفا له على ما يشمله
وغيره وهو تقوى الله تع فهو من عطف الخاص على العام لمزيد التاكيد والاعتنا
بشانه ويصح ان يكون عطف مغاير من حيث ان اظهر مقاصد التقوي انتظام
الامور الاخروية واظهر مقاصد هذا انتظام الامور الدنيوية ومن ثم قال
علي كرم الله وجهه ان الناس لا يصلحهم الا امام بر او فاجر وقال الحسن
ما يصلح الله به اكثر مما يفسده وان تامر عليكم عبد هذا من باب ضرب المثل
بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا يصح ولايته ونظيره من بنى
لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب الاخبار
بالغيب وان نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات في غير اهلها والامر
بالطاعة حينئذ ايثارا لاهون الضررين اذ الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته
اهون من اثارة الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد لهذا
تعقيب ذلك بقوله وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فيه من معجزاته
عليه السلام ~~تعلمه بالنار حملة وتفصيلا~~ الاخبار بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة
المنكر وقد كان عليه السلام عالما به جملة وتفصيلا لما صح انه كشف عما يكون الى ان
يدخل الجنة اهل الجنة والنار منازلهم ولم يكن يبينه لكل احد وانما كان
يحذر منه على العموم ثم يلقي التفصيل الى الاحاد كحذيفة وابي هريرة رضي الله عنهما
فعليكم اي الزموا حينئذ التمسك بسنتي اي بطريقتي وسيرتي

Copyright © King Saud University